

قيس سعيد والغنوشي.. صراع الداخل والخارج

مختار الدباوي

كاتب وصحافي تونسي

قادت زيارة الرئيس التونسي قيس سعيد إلى مصر إلى توتر جديد بينه وبين الغنوشي قد ينتهي هذه المرة إلى قطيعة نهائية بين رأسي السلطة: رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان.

لم تكن علاقة قيس سعيد بالإسلاميين جيدة، وكانت هناك خلافات واضحة، لكن كانت ثمة شعرة معاوية التي يرفض الطرفان قطعها إلى أن جاءت زيارة مصر المثيرة للجدل والتاويلات لتقطعها.

لم يكن أمر القطيعة مرتبطاً بالإسلاميين لوحدهم بعد أن شنوا حملة كبيرة على الزيارة وربطوها باجندة إقليمية معارضة لهم، ولكن قيس سعيد نفسه أظهر أنه على طريق التصعيد مباشرة منذ عودته من القاهرة.

كانت كلمة الرئيس سعيد في جامع الزيتونة إعلاناً للمواجهة أكثر من إهمال وتجاهل. لقد عكست هذه الكلمة مخاوف الإسلاميين من الزيارة التي امتدت لثلاثة أيام دون أن تصدر عنها أي اتفاقيات على عادة الزيارات المطولة، فضلاً عن أن قيس سعيد لم يحمل معه وزراء يمكن أن يتولوا على هامش الزيارة توقيع اتفاقيات أو تفاهات.

يقول الإسلاميون إنها زيارة مبهمة وغامضة، وإن الرئيس قد يكون التحق بالحلف الإقليمي المعارض لهم، والذي تمثل مصر واجتهته، والدولة الأكثر قطيعة ضدهم.

وجاءت كلمة رئيس الجمهورية المخصصة لهفته التونسية بمناسبة بداية شهر رمضان مليئة بالإشارات إلى أن الرئيس يسير نحو صدام مع الإسلاميين من خلال حث الناس على التفريق بين المسلمين والمؤمنين الذين يتوجه لهم النص القرآني بالحديث وبين "الإسلاميين وجمعية (اتحاد) علماء المسلمين".

ووضع الرئيس، هنا، نفسه بشكل واضح ضمن الحلف المقابل الذي يقف ضد اتحاد العلماء المسلمين، وهو الواجهة السياسية للإسلاميين من خط جماعة الإخوان المسلمين، والمقصود هنا ليس فقط الحلف الإقليمي الذي تمثله مصر ودول عربية وخليجية أخرى، وإنما أيضاً حلف داخلي تزعمه عبير موسى رئيسة الحزب الدستوري الحر التي أقامت اعتصاماً لأسابيع أمام مقر الاتحاد في تونس وطالبت بحله.

وأهمته بترويج خطاب داعم للإرهاب، ومن الواضح هنا أن الرئيس قطع مع التردد والحسابات السياسية التي ميزت عامه الأول في الحكم من خلال الرهان على تطويع الإسلاميين من بوابة "حكومة الثورة" في مرحلة أولى، وفي مرحلة ثانية محاصرتهم في البرلمان وبناء تحالف أوسع يفضي إلى سحب الثقة من الغنوشي في رئاسة البرلمان.

وإن لم يقل الرئيس ذلك علناً، فإن الزيارات المستمرة لنواب "الكتلة الديمقراطية" إلى قصر قرطاج والتصريحات التي تلي ذلك تظهر أن الرئيس مهتم بخطة ناعمة لإضعاف الغنوشي ودفعه إلى الخلف بعد أن سعى خلال السنوات الأخيرة إلى لعب دور محوري داخلي وخارجي، وكانه الشخصية السياسية الأولى في البلاد.

وبعد فشل "الكتلة الديمقراطية" في لعب دور تهميش الغنوشي هناك مؤشرات على أن الرئيس بدأ يفكر في خط مغاير هو الرهان على خط عبير موسى الأكثر راديكالية ووضوحاً في مواجهة الإسلاميين والأكثر وزناً شعبياً والأكثر مقبولة إقليمياً. وكانت زيارة ضريح بورقيبة في ذكرى وفاته إشارة واضحة من الرئيس سعيد على رغبته في تنويع رهناته والاقتراب من جمهور الدساترة والتجمعين، وهو جمهور يضم كفاءات وكوادر عملت في الدولة الوطنية، وعداؤها للنهضة عداً عملياً بسبب خسارة نفوذها من خصم بينها وبينه تاريخ من الصراع الأمني والشعبي والديني، ولديها خبرات في إدارة هذا الصراع.

والثقت عبير موسى الإشارة الجديدة وقالت في حوار مع فضائية مصرية إن اختيار الرئيس سعيد

سيكون مدى قدرته على تنفيذ تعهداته بمواجهة الإسلاميين. وحملت كلمة الرئيس سعيد بمناسبة رمضان، كذلك، اتهامات بالنفاق والكذب والذف في حق هؤلاء "الأبالسة" كما وصفهم، وهو ما يعني أن الرئيس دخل ملعب الإسلاميين والأرضية التي يتحركون فيها طيلة عقود... يهاجمهم بتوظيف القرآن والأحاديث النبوية، كما يهاجمهم من داخل المساجد.

وقهمت هذه الإشارات على أن سعيد بات ينوع في أدوات المواجهة، كما ينوع في الحلفاء، وأنه لم يعد يخاف الهجمات التي ينفذها الإسلاميون عليه، خاصة على مواقع التواصل، والتي تنههه بخرق مبدأ حياد المساجد وتوظيف دور العبادة للاستقطاب السياسي وهي الورقة التي سحبت منهم بالقانون ودفعتهم إلى التخلص من قيادات راديكالية كانت توظف المنابر الدينية لجذب الجمهور.

وتقول أوساط متابعة لهذا الجدل إن الرئيس عاد من مصر بالبات مواجهة جديدة، وإنه يريد أن يظهر كممثل للدين بواجهته الرسمية (حضور المفتي، وفي محراب جامع الزيتونة)، الدين الذي يختص بعبادة الله ويقوم على الصدق وطهارة النفس في مقابل الدين/الإسلام السياسي.

وتعتقد هذه الأوساط أن الإسلاميين كانوا يتوقعون هذه المرحلة من المواجهة مع قيس سعيد، مواجهة مكشوفة بلا حذر ولا حسابات، لكنهم ليسوا على استعداد لها حالياً، وهو ما عكسته كلمة الغنوشي لهفته التونسية برمضان.

وتركزت هذه الكلمة على "التصالح" و"المصالحة" بين الأحزاب وكل السلطات، والمقصود بها خصوصاً النهضة، أي الرئيس وحزبه الثوري الذي يضم حركة الشعب القومية، والتيار الديمقراطي (وسط اجتماعي).

ولا شك أن الغنوشي لا يريد المواجهة بأي شكل مع قيس سعيد، ليس فقط لتكالفها السياسية والأمنية، وإنما قد تحملها من مفاجات، ولكن بالأساس لأنها قد تقصد استراتيجيته الناعمة في التمكين الذي أخذ يعد أكثر وضوحاً وبات يعني تحويل حركة النهضة كحزب محوري في المشهد السياسي، والغنوشي كشخصية ضامنة للاستقرار والانتقال الديمقراطي في البلاد، إلى أمر واقع والحصول على اعتراف الداخل والخارج بهذا الأمر.

تعرف النهضة أن وضعها الحالي مريح بالرغم من أن تكاليفه على البلاد كبيرة، وهي تنظر إلى المستقبل الذي ينتهي فيه التجاذب السياسي والصراع على الصلاحيات لتجد نفسها في وضع ملائم لاستمرار مسار التمكين وتأكيد نجاح رهانها على الديمقراطية كطريق أقصر إلى ذلك.

ومن المنتظر أن تستمر النهضة في ملاعبة سعيد من داخل اللعبة السياسية بتحريك ورقة المحكمة الدستورية باستمرار، وإظهاره في صورة رجل القانون الذي يخرق القانون أو الذي يسعى للانقلاب على الديمقراطية.

كما ستستمر في حشد التحالفات لتغيير القانون الانتخابي وإظهار أن المشكلة في النظام السياسي الحالي إجرائية وليست هيكلية، أي يمكن إصلاحه مع استمرار نظام يكون البرلمان محوره في مواجهة النظام الرئاسي الذي يهدد بعودة الدكتاتورية، وتتركز حملاتها على قيس سعيد على هذا المستوى وتحرص على كسب حلفاء جدد، من ذلك بيان حزب أمل الذي يسير عملياً أحمد نجيب الشابي، حليفها التاريخي في فترة بل على.

وأيا كانت الحسابات الإقليمية لمواجهة سعيد والغنوشي، وحفظ أحدهما في الاستفادة من المتغيرات، وخاصة تقارب تركيا مع خصوم الأمم، فإن هذه المعركة ستكون مكلفة على تونس سياسياً واقتصادياً وربما أمنياً، في وقت تتركز فيه أنظار الدول المؤثرة إقليمياً على الاستفادة من فرص الاستقرار في ليبيا وتتشكل تحالفات على قاعدة المصالح والمنافع، في الوقت الذي يفقد فيه صراع الأحلاف القديم معالمه، وهو يستمر فقط، وربما لبعض الوقت، في الملعب التونسي.



ميناء الفاو وسؤال عراقي حائر

الأساس لهذا المشروع الأكثر تعقيداً، في وقت لم يبق على انتهائه ولايته سوى ثمانية أشهر، الله أعلم ما الذي سيحصل بعدها.

يقول الكاتب والمحلل السياسي والدبلوماسي السابق طلال بركات "إن الكاظمي من الضعف بحيث لم يستطع ردع عدد من السيارات التي تحمل شاباً مغزراً بهم من الطواف حول مقر رئاسته، فكيف يستطيع كبح جماح أحزاب وقوى منتفذة تتصارع على لقمة الصياد، مما يؤكد أن مسرحية وضع حجر الأساس ليست إلا جعبة إعلامية لذر الرماد في العيون".

كثير من المراقبين وقفوا مشككين أمام إحالة مشروع ميناء الفاو إلى شركة كورية مغمورة، مشيرين إلى إمكانياتها المحدودة وترك الصين التي لها اتفاقيات اقتصادية مع العراق وقّعها رئيس الوزراء السابق عادل عبدالمهدي، وليس صحيحاً أن إيران كانت ترغب في إسناد تنفيذ المشروع إلى الصين، بل هي لا ترغب بإقامة الميناء أصلاً، لأنه سوف ينافس الموانئ الإيرانية، لذلك فهي ترغب فقط في إقامة الطريق البري عبر حدودها مروراً بالعراق إلى سوريا من جهة وسنجر المسنن بطريق الحرير للوصول إلى أوروبا، ما يؤكد أن وضع حجر الأساس للمشروع ليس إلا دعائية لاقتصاديين عراقيين.

باستخدام وسائل دعائية سبق أن استخدمتها، والتي صرفت عليها أموال طائلة خلال السنين الماضية، ولم يشهد أحد افتتاح مدرسة جديدة للأطفال فهل يفعل انهم حريصون على إنجاز مثل هذا المشروع العملاق؟

ويمكن تفسير المنح الذي سلته الكاظمي من زاوية أنه يريد أن يثبت لمتهميه بأنه صاحب القرار، وأنه قادر على أن يحقق الكثير من المنجزات عبر الجهد الدبلوماسي العراقي من زيارات واجتماعات يمكن أن تعيد المكانة المستحقة للعراق ودوره الطبيعي إقليمياً ودولياً، شجعه في ذلك ما يمكن أن تقدمه له الدول العربية التي تجد من مصلحتها ابتعاد العراق عن حضان النظام الإيراني.

كان قرار الكاظمي إيجابياً في إعادة الحياة للمشروع ليس لأسباب اقتصادية، بل لأنه رسالة إلى كل من يتهم الكاظمي بالضعف والانحناء الدائم للرياح الفارسية، فهو رسالة بأنه صاحب القرار وقادر على أن يحرك دفة حكومته بالاتجاه الذي يخدم العراق ومصالحه، كما عبّر أستاذ إعلام عراقي مرموق.

في المقابل، هناك من يرى أن إعلان الكاظمي عن البدء في تنفيذ المشروع لا يعدو أن يكون استعراض عضلات إعلامية، كونه ركب الصعاب وتحدي الأمواج وراح يضع حجر

واضح من مضمون الخبر أن الملف الاقتصادي هو أهم ما في مهمة الأعرجي، مما يعني أن هذه المهمة تركز على استحلاب البصرة وخيراتها من أجل تمويل الحملات الانتخابية للتيار الصدري. وفي البصرة مليشيات أخرى أهمها مليشيات حزب الله، ومما يتوقع أن تجري مصادمات بين هذه المليشيات للفوز بأكبر قطعة من الكعكة، فضلاً عن أن المحافظة تعاني من نزاعات عشائرية مسلحة، تستخدم فيها الأسلحة المتوسطة والخفيفة، غالباً ما يسقط جزارها قتلى من الطرفين وحتى من المدنيين. ومن هنا جاء التشكيك بإمكانية أن يكون تنفيذ هذا المشروع جيداً.

التفكير بإنشاء ميناء الفاو ليس جديداً إنما يعود إلى سبعينات القرن الماضي، وقد تم تأجيل تنفيذه بسبب اندلاع الحرب الإيرانية - العراقية، وهو يعد من أهم مشاريع المواصلات الاستراتيجية لأسباب عديدة أهمها موقعه الجغرافي بالغ الأهمية لجهة ربط العراق بخطوط الإمداد بينه وبين جنوب تركيا، ومن ثم أوروبا، وكذلك مع الأردن وسوريا حيث الإطالة على سواحل البحر المتوسط، مما يعني توفير فرص شحن سريعة مع دول غرب آسيا.

اعترضت إعادة التفكير بتنفيذ ميناء الفاو وبدء الأعمال الأولية في المشروع سنة 2012 العديد من العراقيين في التنفيذ تمثلت في اغتيال المدير التنفيذي للشركة الكورية التي أوكل لها تنفيذ المراحل الأولى له، إذ ثبت أن دولاً إقليمياً تقف وراء محاولة عرقلة تنفيذه ومن هذه الدول إيران التي حركت مليشياتها المسلحة وأحزابها الطائفية للغرض نفسه، لكي تحرم العراق من حيوية هذا الميناء وأهميته للاقتصاد العراقي.

يعتقد الدبلوماسي السابق قيس النوري أن هذا المشروع سوف يواجه معوقات جديدة ما دامت الإرادة العراقية مرتبطة للنفوذ الإيراني، وهي معوقات ما زالت قائمة عبرت عن حقيقتها كما يسالط دموية، كما يعتقد أن وضع الكاظمي حجر الأساس للمشروع

ويمكن تفسير المنح الذي سلته الكاظمي من زاوية أنه يريد أن يثبت لمتهميه بأنه صاحب القرار، وأنه قادر على أن يحقق الكثير من المنجزات عبر الجهد الدبلوماسي العراقي من زيارات واجتماعات يمكن أن تعيد المكانة المستحقة للعراق ودوره الطبيعي إقليمياً ودولياً، شجعه في ذلك ما يمكن أن تقدمه له الدول العربية التي تجد من مصلحتها ابتعاد العراق عن حضان النظام الإيراني.

واضح من مضمون الخبر أن الملف الاقتصادي هو أهم ما في مهمة الأعرجي، مما يعني أن هذه المهمة تركز على استحلاب البصرة وخيراتها من أجل تمويل الحملات الانتخابية للتيار الصدري. وفي البصرة مليشيات أخرى أهمها مليشيات حزب الله، ومما يتوقع أن تجري مصادمات بين هذه المليشيات للفوز بأكبر قطعة من الكعكة، فضلاً عن أن المحافظة تعاني من نزاعات عشائرية مسلحة، تستخدم فيها الأسلحة المتوسطة والخفيفة، غالباً ما يسقط جزارها قتلى من الطرفين وحتى من المدنيين. ومن هنا جاء التشكيك بإمكانية أن يكون تنفيذ هذا المشروع جيداً.

التفكير بإنشاء ميناء الفاو ليس جديداً إنما يعود إلى سبعينات القرن الماضي، وقد تم تأجيل تنفيذه بسبب اندلاع الحرب الإيرانية - العراقية، وهو يعد من أهم مشاريع المواصلات الاستراتيجية لأسباب عديدة أهمها موقعه الجغرافي بالغ الأهمية لجهة ربط العراق بخطوط الإمداد بينه وبين جنوب تركيا، ومن ثم أوروبا، وكذلك مع الأردن وسوريا حيث الإطالة على سواحل البحر المتوسط، مما يعني توفير فرص شحن سريعة مع دول غرب آسيا.

اعترضت إعادة التفكير بتنفيذ ميناء الفاو وبدء الأعمال الأولية في المشروع سنة 2012 العديد من العراقيين في التنفيذ تمثلت في اغتيال المدير التنفيذي للشركة الكورية التي أوكل لها تنفيذ المراحل الأولى له، إذ ثبت أن دولاً إقليمياً تقف وراء محاولة عرقلة تنفيذه ومن هذه الدول إيران التي حركت مليشياتها المسلحة وأحزابها الطائفية للغرض نفسه، لكي تحرم العراق من حيوية هذا الميناء وأهميته للاقتصاد العراقي.

يعتقد الدبلوماسي السابق قيس النوري أن هذا المشروع سوف يواجه معوقات جديدة ما دامت الإرادة العراقية مرتبطة للنفوذ الإيراني، وهي معوقات ما زالت قائمة عبرت عن حقيقتها كما يسالط دموية، كما يعتقد أن وضع الكاظمي حجر الأساس للمشروع

ويمكن تفسير المنح الذي سلته الكاظمي من زاوية أنه يريد أن يثبت لمتهميه بأنه صاحب القرار، وأنه قادر على أن يحقق الكثير من المنجزات عبر الجهد الدبلوماسي العراقي من زيارات واجتماعات يمكن أن تعيد المكانة المستحقة للعراق ودوره الطبيعي إقليمياً ودولياً، شجعه في ذلك ما يمكن أن تقدمه له الدول العربية التي تجد من مصلحتها ابتعاد العراق عن حضان النظام الإيراني.

د. بهرة الشخيلي
كاتبة عراقية

احتل إعلان رئيس الوزراء في العراق مصطفى الكاظمي الأحد البدء بمشروع ميناء الفاو الكبير في محافظة البصرة الجنوبية الغنية بالنفط والتي تسهم بتمويل موازنة العراق المالية بمعظم مواردها، اهتمام الشارع العراقي واثار تساؤلات المواطنين وتشكيك المراقبين بجديّة التوجه الذي اقرّده الكاظمي.

قد يكون صحيحاً أنّ "الميناء سيوفر فرصاً كبيرة للعراق ويعزز مكانته الجيوبوليسية في المنطقة والعالم، وسيدخل فرص عمل كثيرة لأهل البصرة وباقي المحافظات، وسيهم في تطوير المحافظة" كما قال الكاظمي عندما حضر احتفال البدء بهذا المشروع.

قد يكون صحيحاً أنّ "الميناء سيوفر فرصاً كبيرة للعراق ويعزز مكانته الجيوبوليسية في المنطقة والعالم، وسيدخل فرص عمل كثيرة لأهل البصرة وباقي المحافظات، وسيهم في تطوير المحافظة" كما قال الكاظمي عندما حضر احتفال البدء بهذا المشروع.

قد يكون صحيحاً أنّ "الميناء سيوفر فرصاً كبيرة للعراق ويعزز مكانته الجيوبوليسية في المنطقة والعالم، وسيدخل فرص عمل كثيرة لأهل البصرة وباقي المحافظات، وسيهم في تطوير المحافظة" كما قال الكاظمي عندما حضر احتفال البدء بهذا المشروع.

قد يكون صحيحاً أنّ "الميناء سيوفر فرصاً كبيرة للعراق ويعزز مكانته الجيوبوليسية في المنطقة والعالم، وسيدخل فرص عمل كثيرة لأهل البصرة وباقي المحافظات، وسيهم في تطوير المحافظة" كما قال الكاظمي عندما حضر احتفال البدء بهذا المشروع.

